

مناهل العرفان في علوم القرآن

قد علم الناس وجوب الدفاع عن العرض ولو بالنفس ثم أخبرني ألا ترى فارقا كبيرا بين هذه اللغة الجريئة القاطعة المنذرة والمبسرة التي صيغت بها آيات البراءة وبين لغة الرسول الحذرة المتحفظة التي رويت عنه في هذه الحادثة إن كنت في شك فأمامك آيات البراءة وهاك كلمتين مما أثر عنه في هذا الأمر الجلل ورد أنه قال حين طال الانتظار وبلغت القلوب الحناجر إنني لا أعلم إلا خيرا وورد أنه قال قبيل الساعة التي نزلت فيها آيات البراءة يا عائشة أما إنه قد بلغني كذا وكذا فإن كنت بريئة فسيبرئك الله وإن كنت أَلَمْتُ بذنب فاستغفري الله .

فهل يجوز في عقل عاقل أن يكون صاحب هذا الكلام هو صاحب آيات البراءة دع عنك الأسلوبين ولكن تأمل النفسيتين المتميزتين في الكلامين تميز السيد من المسود والعايد من المعبود . ثالثها ما ورد من أن النبي سئل عن أصحاب الكهف وعن ذي القرنين وعن الروح فقال لسائليه ائتوني غدا أخبركم ولم يقل إن شاء الله فأبطأ عليه الوحي حتى شق ذلك عليه وكذبت قريش وقالوا ودعه ربه وقلاه أي تركه ربه وأبغضه فأُنزل الله والضحى والليل إذا سجى ما ودعك ربك وما قلى ثم نهاه مولاه أن يترك المشيئة مرة أخرى إذ قال له في سورة الكهف ولا تقولن لشاء إنني فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله واذكر ربك إذا نسيت وقل عسى أن يهدين ربي لأقرب من هذا رشدا ولما نزل جبريل بعد هذا الإبطاء والتمهل قال له ما حكاك الله عنه في سورة مريم وما ننزل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيا يعني أن عدم الإسراع بالنزول لم يكن سببه إعراض الله عنه كما يزعمون بل كان لعدم الإذن به لحكم بالغة قد عرضنا لبعضها في الكلام على أسرار تنجيم القرآن بالجزء الأول وحسبك هنا أن يستدل المنصف بهذا الإبطاء والتراخي على أن القرآن تنزيل العزيز الرحيم لا كلام النبي الكريم .

رابعها ما ورد من أنه لما نزل قوله سبحانه وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله انخلعت قلوب الصحابة وذعروا ذعرا شديدا لأنهم فهموا من هذه الآية أن الله تعالى سيحاسبهم على كل ما يجول بخاطرهم ولو كانت خواطر رديئة ثم سألوها فقالوا يا رسول الله أنزلت علينا هذه الآية ولا نطبقها فقال لهم النبي أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم سمعنا وعصينا بل قولوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير فجعلوا يقولونها ويضرعون إلى الله بها حتى أنزل تقدست أسماؤه الآية الأخيرة من سورة البقرة وهي لا يكلف الله نفسا إلا وسعها إلى آخر السورة فسكنت نفوسهم واطمأنت قلوبهم وفهموا أنهم

